غير المكانة الأولى والمنزلة العظمى ، لا يميل إلى الهزل أو المجون ، يجالس أهل الوقار والحشمة مثل الشيخ حسن الجبرتى أبو عبد الرحمن الجبرتى المؤرخ ، والشيخ على العدوى ، والشيخ أحمد الدمنهورى ، وكان له كاتب عربى وكاتب تركى ( أى سكرتير ) ومنجم .

وكان متحررا فى الخطاب أو الحديث ، وكثير من الناس الذين يقصدونه فى مشاكلهم وقضاياهم كانت تأخذهم الرعدة فى محضره ، حتى لا يستطيعون الحديث عن أقضيتهم ، فيلاطفهم ويؤانسهم ويأخذ بأسباب أحاديث المودة والمؤانسة ، حتى يهدئ من روعهم ، ويحول خوفهم إلى أمن ، وفزعهم إلى طمأنينة ، حتى إذا ما سكنت نفوسهم ، أمكنهم أن يتحدثوا إليه ، وفى أثناء ذلك يلاطفهم ويشجعهم قائلا : « هون عليك » ، متواضعا ، متصاغرا ، حتى يقدم الزائر من عنده مطمئنا إلى أن شكواه ستؤتى ثمارها ، وموضوعه سينال من الرعاية والعناية والعدالة ، ما هى جديرة به . هكذا ترطبت الألسنة من الثناء عليه ، والثقة فى عدالته .

**كتب الرحالة « Volney » :**

« إنه بمجرد أن اجتمعت أسباب السلطة بأكملها فى يدى على بك عزم على استخدامها لزيادة نفوده وسلطانه ، فإن الجماعة ما كانت تقنع بلقب الحاكم أو القائم مقام ، لأن سيادة الآستانة كانت تجرح كبرياءه ، فهو لا يريد إلا الاستقلال لمصر ولقب سلطانها ، وعلى ذلك فقد اتجهت

---

(١) Volney : Voyages en Egypte pendant les années 1783 – 1785